

المسيح والمجدلية: افتراءات في رواية شيفرة دافنشي

Christ and Magdalene: A Slur in the Novel of the Da Vinci Code

نورالدين سهلي

Noureddine SAHLI

جامعة وهران 1 (الجزائر)، iamjoudnour@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/05/31

تاريخ القبول: 2025/07/28

تاريخ الاستلام: 2024/04/11

الملخص: تصنف روايات الكاتب الأمريكي دان براون من أهم الروايات ذات الخلفية الماسونية المعادية للآديان، ومن بين روايات دان براون التي لاقت رواجاً ولغظاً عالمياً، وهي رواية (شيفرة دافنشي)، كما تُعد مريم المجدلية من بين الشخصيات المسيحية التي أثارت نقاشاً حاداً في الأوساط العلمية. ستحاول هذه الورقة دراسة صورة مريم المجدلية، وعلاقتها بالمسيح، من خلال ما جاء في رواية دان براون، فقد عمل في هذه الرواية على تحسين وتلميع صورة الماسونية عبر التاريخ، وتشويه الوجه الذي اتخذته الكنيسة تاريخاً لها. فكانت من ثمت مريم المجدلية، بمثابة الشخصية التي يتجلى فيها الصراع بين الجماعتين.

كلمات مفتاحية: مريم المجدلية؛ المسيح؛ الكأس المقدسة؛ دان براون؛ شيفرة دافنشي.

Abstract

The American writer Dan Brown's novels rank among the most important novels with a Masonic anti-religious background. Among Dan Brown's novels that have been popular and globally covered, The Da Vinci Code. Maryam Magdalene is one of the Christian figures who have sparked intense debate in the scientific community. This paper will attempt to study the image of Mary Magdalene, and her relationship with Christ, through Dan Brown's novel. In this novel, he has improved and polished the image of the Masonic throughout history, and distorted the face that the Church has taken on history. Then Mary Magdalene was the personality in which the conflict between the two groups manifested itself.

Keywords: Mary Magdalene; Christ; Holy Grail; Dan Brown; The Da Vinci Code.

المؤلف المرسل: نورالدين سهلي، الإيميل: iamjoudnour@gmail.com

1. مقدمة:

تصنف روايات الكاتب الأمريكي دان براون من أهم الروايات ذات الخلفية الماسونية المعادية للأديان، حيث إن القارئ لها يجد في بعضها دفاعا مستميتا عن تاريخ الماسونية المظلم، وإظهارها في مظهر الحسن والجمال، وذلك بخلاف ما توحيه الحقائق التاريخية. وفي البعض الآخر يجدها زاهرة بالأفكار التي تدعو وتروج لها الماسونية، كما أنه يجد فيها هجوما صريحا على الأديان، وإن كان ذلك بقلب حقيقة الدين والطعن في رموزه ونسبه له ما هو منه براء.

ومن بين روايات دان براون التي لاقت رواجاً ولغظاً عالمياً، والتي حولت إلى فيلم سينمائي، هي رواية (شيفرة دافنشي)، التي نشرت سنة 2003، والتي حققت مبيعات حتى مارس 2006 تصل إلى 60.5 مليون نسخة، كما أنها ترجمت إلى 56 لغة، فكانت من أكثر الروايات مبيعا حول العالم، والتي ستكون النموذج المخصص من الروايات العديدة لدراسة التأثير الماسوني من خلالها.

وتُعد مريم المجدلية من بين الشخصيات المسيحية التي أثارت نقاشاً حاداً في الأوساط العلمية، لا سيما بين مفسري العهد الجديد ومؤرخي المسيحية المبكرة. ويرجع ذلك تحديداً لتضارب الرؤى بشأن مكانتها بين الأتباع المقربين ليسوع والدور الذي قامت به في السنوات الأولى من المسيحية، بين رأي يعتمد نصوص العهد الجديد القانونية، ومن ثم ينقل نظر الجماعة الأرثوذكسية، وبين آخر يستند إلى وثائق جديدة، شملت عدداً من نصوص الأبوكريفا، التي تنتمي لجماعات صنفت بأنها غنوصية ومهرطقة.

ستحاول هذه الورقة دراسة صورة مريم المجدلية، وعلاقتها بالمسيح، من خلال ما جاء في رواية دان براون، ولا نروم من ذلك إعادة تشكيل معالم هذه الشخصية، بقدر ما نحاول النفاذ إلى الصراع الخفي بين الجماعات المسيحية المبكرة على الزعامة الدينية وحياسة المقدس، تركز في عدد من الأفكار والشخصيات الدينية، والتي من بينها مريم المجدلية.

يمكن أن تسهم هذه الدراسة في إيقاف انتشار مثل هذه الروايات، أو ضبطها، من خلال تمحيص كل رواية، وتقنين ما تحمله في طياتها من شبه، كما أن هذه الدراسة بمثابة الإنذار للشباب المتدين، وذلك ببيان ما تسعى إليه الماسونية وغيرها من التنظيمات، من حرب على الأديان جملة وتفصيلاً، وليس حرباً على الإسلام فحسب، وبعبارة أخرى أرادوها حرباً على الإنسان وإفراغه من كل ما هو روحي ميتافيزيقي، وتعليقه بما هو مشاهد ومحسوس وملموس، ولن يكون ذلك إلا من خلال إبعاد وطمس كل ما هو غيبي بشتى الوسائل الممكنة.

ما يميز هذه الدراسة أنها تستمد موضوعيتها من خلال موضوعها، الذي يُنم عن الصراع الحاصل بين الماسونية من جهة، والديانة المسيحية من جهة أخرى، والعقيدة الإسلامية التي تنافي هاذين المعتقدين من جهة ثالثة.

وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ❖ لماذا تقحم مثل هذه الروايات الأدبية الأفكار الدينية في مضمونها، بحاجة أو دون حاجة؟
- ❖ هل كل ما يذكر من أفكار دينية تكون على حقيقتها عند أصحابها؟ بعبارة أخرى هل ذُكرت الأفكار الدينية بغرض الإفادة، أو للتحسين من حبكة الرواية، أم لأغراض أخرى؟
- ❖ هل صحيح أن المسيح تزوج مريم المجدلية، وله نسل منها؟
- ❖ ما هو سر الكأس المقدسة؟

اقتضت طبيعة الدراسة الاستعانة بعدد من المناهج، بحسب ما قدرناها ملائمة للموضوع؛ للقدرة على التحكم بالمادة العلمية، وتوزيعها بحسب موضوعاتها، وهي:

المنهج التحليلي: وقد كان استخدامه في معظم جزئيات البحث، من خلال تحليل النصوص والأقوال والأحداث، واستخلاص ما يترتب عليها من استنتاجات.

المنهج النقدي: الذي كان له الدور الرئيس في هذه الدراسة، حيث استُعمل كثيرا في تنفيذ الفرضيات والرد عليها.

2. محاولة تشويه صورة المسيح

لا شك أن من أراد أن ينقض مؤسسة أو جماعة أو حتى ديانة فإنه لا يلتفت إلى الفروع ويترك القاعدة أو الأصل؛ لأن ذلك سيأخذ منه وقتا أطول، وقد لا يصل إلى مبتغاه؛ لذلك لجأ أعداء المسيحية في البداية إلى طمس صورة المسيح، باعتباره القاعدة والأساس في هذه الديانة، وإظهاره في مظهر لا ينبغي أن يكون عليه، على الأقل بالنسبة لمعتنقي الديانة المسيحية، فضلا عن أنهم لم يتبنوا هذه الاتهامات عن حقائق ثابتة بالأدلة القاطعة، بل عن تخيلات افترضوها.

ادعى دان براون أن المسيح كان متزوجا، وأن هذا الموضوع في نظره "موضوع بشري مزعج يتكرر في كل الأناجيل ... موضوع مريم المجدلية ... موضوع زواجها من يسوع المسيح" (براون، 2004م، صفحة 273). ويستغرب من نظرة المسيحية الأرثوذكسية لهذا الموضوع فيقول: "أن يسوع كرجل متزوج هو أمر منطقي أكثر من

فكرتنا الإنجيلية التقليدية التي تقول إنه كان عازياً" (براون، 2004م، صفحة 275). بل يذهب أكثر من ذلك، فيدعي أن "زواج يسوع ومريم المجدلية هو جزء من حقيقة وسجلات تاريخية" (براون، 2004م، صفحة 275). لكن لماذا حرفت هذه الحقيقة؟ يجيب دان براون أن "الكنيسة كانت بحاجة لإقناع العالم بأن النبي الفاني يسوع المسيح كان كائناً إلهياً" (براون، 2004م، صفحة 273). بعد أن تم التصويت على ألوهية المسيح في المجمع المسكوني بانيقية، "فحتى تلك اللحظة في تاريخ البشرية، كان المسيح في نظر أتباعه نبياً فانياً ... كان رجلاً ... إنساناً فانياً" (براون، 2004م، صفحة 261). ولتحقيق هذه الألوهية "أمر قسطنطين بإنجيل جديد وقام بتمويله. أبطل فيه الأناجيل التي تتحدث عن السمات الإنسانية للمسيح. وحُرمت ... وتم جمعها وحرقها" (براون، 2004م، صفحة 262). ومن أهم هذه السمات الإنسانية زواج يسوع المسيح.

1.2 أدلة دان براون على زواج المسيح:

بنى دان براون ادعاءه على نقطتين:

الأولى: أن "يسوع كان يهودياً، ... وقد كان العرف الاجتماعي في ذلك العصر يحرم تماماً على الرجل اليهودي أن يكون أعزياً. كما أن الامتناع عن الزواج كان ذنباً يعاقب عليه بحسب التقاليد اليهودية، وكان واجب الأب اليهودي أن يجد زوجة مناسبة لابنه. فلو كان المسيح أعزياً، لكان ذلك قد ذكر في أحد الأناجيل وتم تفسير حالة عدم زواجه غير المألوفة على الإطلاق" (براون، 2004م، صفحة 275).

الثانية: استناده إلى ما ورد في نص إنجيل فيليبس الأبوكريفي، الذي كتب باللغة الآرامية -في ادعاءه-، وهو قوله: "ورفيقة المخلص هي مريم المجدلية. أحبها المسيح أكثر من كل الحواريين واعتاد أن يقبلها في معظم الأحيان من فمها. وقد تضايق باقي الحواريين من ذلك وعبروا عن استيائهم. وقالوا له، "لماذا تحبها أكثر منا؟"" (براون، 2004م، صفحة 275).

والشاهد في هذا القول هو عبارة (رفيقة)، فإنك "إذا سألت أي عالم باللغة الآرامية فسيقول لك أن كلمة رفيقة في تلك الأيام كانت تعني حريفاً الزوجة" (براون، 2004م، صفحة 275).

2.2 الرد على هذه الأدلة:

يمكن الرد على هذين الادعاءين من خلال النقطتين الآتيتين:

أولاً: لا ننكر أن المسيح كان فرداً من الشعب اليهودي (يوحنا 4: 9)، إلا أننا نجد أدلة تدحض دعوى دان براون، في أن الزواج كان بحسب التقاليد اليهودية واجبا على كل رجل يهودي، ومن هذه الأدلة:

- ❖ ما جاء في رسائل شاوول الطرسوسي (بولس الرسول)، المعروف بتعصبه لليهودية قبل دخوله في المسيحية، حيث نرى من خلال رسالته إلى أهل كورنثوس أنه يوصي بأنه من الأفضل ألا يمس رجل امرأة فيقول: "أما من جهة ما كتبتم به إلي فحسن للرجل أن لا يمس امرأة" (1كورنثوس: 1:7).
- كما أنه هو نفسه كان أعزبا، بل ويشجع الآخرين على أن يبقوا عزبا، فيقول: "وأقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم أن يبقوا على هذه الحال كما أنا" (1كورنثوس: 8:7).
- ❖ ما ورد في كتب الأديان وتاريخها من أنه كانت هناك فرق يهودية رهبانية لا يتزوجون، كفرقة الفريسيين المتصوفة، وفرقة الآسينيون (الجهني، 1420هـ، صفحة 499). (همو، 2004م، صفحة 68). (المسيحي، 1995م، صفحة 251).
- ثانيا: فيما يتعلق بنص إنجيل فيليبس الغنوصي، يمكننا أن نرد عليه من خلال هذه النقاط:
- ❖ "إن لغة كتابة إنجيل فيليبس هي اللغة القبطية لأنها النسخة المترجمة الوحيدة منها، وذلك بإجماع علماء اللغة اليونانية (زكي، 2008م، صفحة 106)، وليست آرامية كما ادعى دان براون.
- ❖ وأما النص الأبوكريفي الذي استشهد به صاحب الرواية فيقول: "ورقيقة (المخلص) هي مريم المجدلية. لكن (المخلص) أحبها أكثر من جميع التلاميذ واعتاد أن يقبلها غالباً على (رأسها). أما باقي التلاميذ (انزعجوا لذلك). قالوا له: "لماذا تحبها أكثر منا جميعاً؟". (الطرزي، 2005م، صفحة 135).
- هذا النص الذي أماننا هو ما ادعاه براون، من أن المسيح كان يُقبل المجدلية على فمها، غير أن النص لم يذكر فمها على الإطلاق، بل ذكر (رأسها)، بل إن بعض الروايات لم تذكر أنه كان يقبلها، كما في مخطوطات نجع حمادي، التي جاء فيها: "لقد كانت مريم المجدلية، رقيقة يسوع. وكان يسوع يحبها، فوق جميع التلاميذ. أما التلاميذ فقد امتعضوا قائلين له: "لماذا تحبها أكثر منا جميعاً؟" (زكي، 2008م، صفحة 108).
- كما أن بعض الروايات لما بلغت إلى قوله: "كان يقبلها على ()"، و"تركت فراغات بسبب تلف المخطوطة" (زكي، 2008م، صفحة 224)، ومن الممكن أن توضع في هذا الفراغ كلمات غير (فمها)، مثل (بدها أو رأسها). هذا إذا سلّم بصحة النص عند أصحاب الديانة المسيحية.
- وعلى فرض أن المسيح والمجدلية قد تزوجا كما يُروّج صاحب الرواية، فلماذا يسأل التلاميذ المسيح بـ(لماذا تحبها أكثر منا؟)؟! فهل يعقل أن يُسأل رجل لماذا يحب زوجته أكثر من تلاميذه؟!

❖ وبالنسبة إلى إنجيل فيليبس الذي "هو مجموعة من التقارير أو العبارات الخاصة بالأسرار المقدسة والأخلاق وهو في طبيعته غنوسي فالنتيني وربما كتب في سوريا، في النصف الثاني للقرن الثالث الميلادي" (زكي، 2008م، صفحة 105)، وبالتالي يعتبر إنجيلا حديثا بالنسبة للأناجيل المعتمدة.

وإذا ما رجعنا إلى مخطوطات نجع حمادي نفسها، التي تعتبر إنجيل فيليبس جزءا منها، نكتشف أن العديد منها "يقتبس بوضوح الكثير من كتابات العهد الجديد ويعترف بأنه يقتبس من هذه الكتابات، ولذلك فمخطوطات نجع حمادي نفسها تشهد بأن تدوينها تم بعد انتشار كتابات العهد الجديد بل ولدرجة الاستناد إليها كوثنائق معتمدة في الكنيسة" (زكي، 2008م، صفحة 225)، فالمدونون لهذه المخطوطات لم يكونوا ليعتمدوا على كتابات العهد الجديد لولا أنها كانت مضمونة من الكنيسة.

ومما يزيدنا يقينا من أن مخطوطات نجع حمادي لاحقة للعهد الجديد، وأنها هي من أخذت عنه، وليس العكس، هو أنه "بعد اكتشاف مخطوطات نجع حمادي بوضع سنوات تم اكتشاف مخطوطات العهد الجديد وباللغة اليونانية التي عُرفت في الأوساط العلمية باسم مخطوطات (بودمار) ...، وكلها تعود إلى بداية القرن الثاني الميلادي" (زكي، 2008م، صفحة 226)، حيث إن إنجيل فيليبس الذي هو جزء من مخطوطات نجع حمادي كُتب في النصف الثاني من القرن الثالث.

بعد ما ثبت أن مخطوطات نجع حمادي أخذت من الأناجيل الأربعة المعتمدة، كان لا بد أن نجد في الأناجيل ما ادعاه إنجيل فيليبس في شأن المسيح، من زواجه بالمجدلية، وبما أننا لا نجد في الأناجيل شيئا من هذا الادعاء، ولا حتى بالإشارة إليه؛ علمنا أن ما جاء في فيليبس زيادة غنوصية، لا أثر لها من الصحة.

3. شخصية مريم المجدلية

لم يكتف دان براون في افتراءاته على العلاقة العاطفية التي كانت بين المجدلية والمسيح، بل ذهب أبعد من ذلك، وقال إنهما كانا زوجين، كما اتهم الكنيسة بأنها جعلت "المجدلية تبدو كمومس" (براون، 2004م، صفحة 278). ورد قائلا: "لم تكن المجدلية كذلك أبداً. وتلك الفكرة الخاطئة هي الإرث الذي خلفته الحملة القذرة التي أطلقها الكنيسة ... لتشويه سمعة مريم المجدلية" (براون، 2004م، صفحة 273).

تعتبر مريم المجدلية من أكثر النساء اللاتي كان لهن ذكر وأثر في الأناجيل، بعد مريم العذراء عليها السلام، ولذلك أخذ الحاقدون على المسيحية الفرصة في تشويه هذه الديانة، من خلال تشويه صور بعض رموزها، ومن بين هذه الرموز هي مريم المجدلية، وعلى ذلك كان لا بد لنا من التعرف على هذه الشخصية، وبيان أثرها في المسيحية؛ بغرض الكشف عن حقيقة ما نسب إليها.

1.3 من هي مريم المجدلية؟

هي مريم المجدلية نسبة "إلى بلدة مجدلة (المجدل) على الجانب الغربي من بحيرة طبرية" (المسكين، الإنجيل بحسب القديس مرقس دراسة وتفسير وشرح، 1996م، صفحة 616)، "وقد عرفت بالمجدلية تمييزاً لها عن المريمات الباقيات، فهي من قرية مجدل (ومعناها برج) التي تقع على شاطئ بحر الجليل، ... كما عرف عن البلدة أن سكانها كانوا متحررين على نحو ما" (مكاربوس، 2017م، صفحة 110).

أما عن تتلمذها على يد المسيح ومرافقته في كل مكان، ف"قد سمحت ظروف مريم المجدلية العائلية لها، بأن تترك بيتها ومدينتها لتتبع المسيح حيث لم تكن متزوجة ...، وبحسب المصادر المتاحة فقد كانت مريم شابة تتمتع بجمال شديد، سيدة مجتمع، غنية جداً، قوية الشخصية، لبقة تحسن الحديث، حيث يظهر ذلك من الأخبار المتناقلة عنها حين ذهبت إلى روما وتقابلت مع طيباريوس قيصر وعرضت عليه هناك قضية المسيح والمسيحيين، وتأثر طيباريوس وأمر بعدم التعرض للمسيحيين. كما ظهرت قوة شخصيتها في تواجدها في دار الولاية حيث تسنى لها مشاهدة المحاكمات ... وذهابها كذلك والظلام باق إلى القبر ...، ووجودها قبل ذلك بجوار الصليب في حين هرب الكثير" (مكاربوس، 2017م، صفحة 111)، فكان لقوة شخصيتها أثر في الرد عن المسيحيين المضطهدين.

وإذا ما رجعنا إلى الأناجيل، نجد أن المجدلية قد ذكر اسمها 14 مرة، و"هناك سمة شائعة في ثماني فقرات من الـ 14 فقرة التي ذكرت فيها، حيث نجد أن مريم تذكر جنباً إلى جنب مع نساء أخريات، ولكنها تأتي دائماً على رأس القائمة، مما يوحي بأنها كانت تحتل المكانة الأولى في الخدمة، ... لا توجد امرأة فاقت مريم في إخلاصها التام وتقانيها في خدمة المعلم" (لوكير، صفحة 185).

ومع كل هذا، فلعل أكثر ما يدل على مكانة المجدلية، هو توبيخ يسوع لتلاميذه، لعدم إيمانهم بما أخبرتهم به مريم المجدلية من قيامة المسيح، وهو ما ورد في قول مرقس: "أخيراً تراءى للأحد عشر وهم متكئون وبكتهم لعدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين رأوه قد قام" (مرقس 16: 14).

فكان جزائها في ذلك كله تخليد اسمها في تلك الكتب.

2.3 مريم المجدلية في الأناجيل المعتمدة:

إذا أردنا معرفة المجدلية كما تتظر إليها المسيحية على الوجه الصواب، فلا بد لنا من العودة إلى الأناجيل، ولا يسعنا هنا أن نذكر كل النصوص التي أوردت اسمها في الأناجيل (*)، ولذلك سنكتفي بعرض بعض النصوص التي لا تتشابه:

(*) مت 27: 56 و 61، 28: 1. مر 15: 40 و 48، 16: 1-19. لو 8: 2، 24: 10. يو 19: 25، 20: 1-18.

(وكان هناك نساء كثيرات ينظرن عن بعد، وهن اللواتي تبعن يسوع من الجليل يخدمه، وبينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسى وأم ابني زبدى) (متى 27: 55-56).

(وكانت هناك مريم المجدلية ومريم الأخرى جالستين مقابل القبر) (متى 27: 61).

(ونساء كان قد أبرأهن من أرواح شريرة وأمراض. وهن مريم التي تدعى المجدلية التي أخرج منها سبعة شياطين) (لوقا 8: 2).

(ومريم المجدلية وحنة ومريم أم يعقوب وآخر معهن هن اللواتي أخبرن الرسل بهذا) (لوقا 24: 10).

(وكان أيضا نساء ينظرن عن بعد بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغیر وأم يوسى وسالومة) (مرقس 15: 40).

(ولما انقضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطا ليأتين ويحنطن يسوع) (مرقس 16: 1).

(فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وأنها قال لها هذا) (يوحنا 20: 18).

(وكانت واقفة عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم التي لكلوبا ومريم المجدلية) (يوحنا 19: 25).

إن الناظر في هذه النصوص المفارقة من الأناجيل الأربعة يعلم أنه لا بد من الجمع بينها؛ حتى يتمكن من فهمها على الوجه الصحيح، ومعرفة الأطوار التي مرت بها مريم المجدلية، فقد كانت هناك ثلاث مراحل لتطور شخصيتها:

المرحلة الأولى: ما قبل تعرفها على المسيح، ثم إخراج المسيح منها سبعة شياطين (لوقا 8: 2).

المرحلة الثانية: بعد إخراج الشياطين منها، حيث أصبحت من تلاميذ المسيح المقربين؛ فكانت حاضرة في حادثة الصلب (يوحنا 19: 25)، وحاضرة أيضا عندما دفن.

المرحلة الثالثة: وفي هذه المرحلة أصبحت من التلاميذ المبشرين؛ حيث ظهر لها المسيح عند قيامته من القبر، وأمرها أن تبشر حواربيه، أنه قام من القبر، وأنه سيمجد إلى أبيه وأبيههم وإلهه وإلههم (يوحنا 14-18: 20). ومن خلال هذه المراحل، تتضح لنا صورة مريم المجدلية كما جاءت في الأناجيل، فلم يكن بينها وبين المسيح أي علاقة عاطفية، كما أنه ليس من المعقول أن تكون هناك علاقة بين امرأة كانت متلبسة بالشياطين والمسيح الذي جاء لإنقاذ البشرية من الشياطين وأهواءها، فلو كانت هذه العلاقة موجودة؛ لغير بها المسيح، ولو كانت هذه العلاقة صحيحة؛ لذكرتها الأناجيل، أو لمحت لها على الأقل، "إن التقليد كان مشغولاً باسمها أكثر من

المعتاد، وقد نسج العديد من الأساطير حول العبارات البسيطة في الأناجيل، ... حيث إن معظمها قد أملتة رغبة أعداء المسيح ليجلبوا على اسمه العار" (لوكير، صفحة 375).

3.3 مريم بين الخطيئة والتقديس:

لقد شاع عند البعض -وخاصة الكاثوليك الغربيين- أن مريم المجدلية كانت شريرة خاطئة، كما أنهم قالوا عنها أنها كانت عاهرة، إلا أنه لم يأت في الكتاب أي دليل على هذا، ولو كانت كذلك لوصفها الإنجيل الذي وصف أخريات بهذه الصفة (لوقا 7: 37. يوحنا 8: 3).

من البديهي أن كل فكرة لا بد أن يكون لها جذور ومستندات، وإذا ما بحثنا عن جذور هذه الفكرة التي ناقشها، فإننا نجد "سوء التفسير أن مريم كانت عاهرة مهتدية قد حدثت من خلال الاتجاه الملتوي في النصوص الإنجيلية. الإشارة قد حدثت في إنجيل لوقا 7: 36-50 عن المرأة الخاطئة التي تمسح قدمي يسوع بشعرها" (الطرزي، 2005م، صفحة 116)، إلا أن لوقا "لم يذكر اسمها ولكن بعضهم ظنوا مريم المجدلية وليس من دليل على ذلك لأن تلك لم يقل إنها زانية بل إنه فيها سبعة شياطين" (إدي، 1973م، صفحة 210).

بل إن لوقا "لم يصرح بطبيعة الخطيئة التي اقترفتها مريم المجدلية، كما أن وصف امرأة بالخاطئة لا يدل في اليهودية على تهمة الزنا، وإنما قد يكون بسبب القيام بعمل في يوم السبت، أو مخالفة بعض تعاليم الناموس" (الحيواي، صفحة 6).

وعند التحقق من الأناجيل عن اسم المرأة الخاطئة التي تابت، فلا نجد أي تلميح، لا في إنجيل لوقا، ولا في المصادر الأخرى التي رجع إليها ما يوحي أنها المرأة الخاطئة التي غسلت رجلي الرب بدموعها ومسحتها بشعرها ودهنتها بالطيب، أي أن مريم المجدلية لا علاقة لها بالخاطئات اللاتي تُبْن (المسكين، الإنجيل بحسب القديس لوقا دراسة وتفسير وشرح، 1998م، صفحة 339).

ومما زاد في ترسيخ الخطأ الشائع عند البعض أنه "في سنة 1324م أقامت الكنيسة الكاثوليكية بيتاً أطلقت عليه "بيت المجدلية" بهدف إنقاذ النساء والفتيات الساقطات (مما أوحى للكثيرين بأن المجدلية كانت فاسدة الأخلاق أولاً)" (مكاربوس، 2017م، صفحة 116). بل "يُعرّف أحد الكُتّاب المجدلية بأنها "نزيلة لأحد السجون النسائية" (لوكير، صفحة 185).

إلا أنه مما يدل على عظم مكانة المجدلية في الديانة المسيحية أنه تم بناء كنيسة سُميت بكنيسة المجدلية، "بناها القيصر ألكسندر الثالث سنة 1885م، ... وقد شيد الكنيسة المذكورة تخليداً لذكرى والدته، ... وقد تم تدشينها سنة 1888م بحضور سيرجي ألكسندروفيتش شقيق القيصر، وهناك يحتفلون بالمجدلية في 22 يوليو من كل عام"

(مكاربوس، 2017م، الصفحات 116-117)، وهذا ما يدل على قداسة هذه المرأة في قلوب معتقي المسيحية، وهو بعكس ما صوّره وما أراد دان براون تصديره من خلال روايته.

4.3 ماذا بعد قيامة المسيح؟

تُذكر مريم المجدلية في الأناجيل على أنها أول شاهد على قيامة المسيح(*)، وهي أول من تكلم معها المسيح بعد قيامته (يوحنا 20: 15-17)، إلا أنها اختفت بشكل غامض، ولم تذكر بعد هذا، خصوصاً في سفر أعمال الرسل الذي يؤرخ للسنوات الأولى من حركة المسيحيين الأوائل (أعمال الرسل 1: 14-15). ويمكن إرجاع هذا إلى محاولة الكنيسة الرسمية أن تحد من تأثير هذه الشخصية في أحداث القرن الأول، من خلال حصر صورتها في المتخيل المسيحي في المرأة ذات الماضي المندس " (اليحايوي، صفحة 9). وهذا ما يفسر اتهامها بالعهر والزنا.

ولعلنا بالرجوع إلى النصوص القانونية نجد سبب هذا التغييب، إذ نجد في رسالة بولس إلى كورنثوس الأولى ادعاءه أنه هو أول مبشر ورسول من المسيح، وذلك في قوله: "فإني سلمت إليكم أولاً ما تسلمته أن المسيح مات من أجل خطايانا على ما في الكتب" (1كورنثوس 15: 3). خلافاً للأناجيل الأربعة التي جعلت المجدلية أول شاهد ومعلن لقيامة المسيح. وما يوضح هذا الصراع والتنافس لنيل الشرعية الدينية الذي حدث بين الجماعات المسيحية الأولى، هو غيرة بطرس من المجدلية، في قوله: "هل يعقل أن يكون المعلم قد تحدث هكذا، مع امرأة، عن أسرار نحن نجهلها؟ هل يتوجب علينا تغيير عاداتنا والاستماع إلى هذه المرأة؟ هل انتقاها حقاً وفضلها علينا" (إنجيل مريم المجدلية 17: 17-20). أو في إنجيل توما لما: "قال لهم سمعان بطرس: دعوا مريم تذهب من وسطنا. لأن المرأة لا تستحق الحياة" (ماكدويل، صفحة 31). ليقوم التيار المنتصر، بعد زعامة بطرس لكنيسة المسيح، بتناسي دور المجدلية، "ليظهر في ساحة الأحداث فقط بولس وبطرس كمؤسسين للمسيحية الرسمية أو المسيحية الأرثوذكسية" (اليحايوي، صفحة 11).

4. سر الكأس المقدسة

ادعى دان براون أن الكأس المقدسة أو (الغريل المقدس) هو عبارة عن دم المسيح المقدس، الذي يجري في عروق سلالته، التي حصلت نتاج زواجه بالمجدلية، وقد ضاع هذا المعنى؛ بسبب محوه تماماً وبشكل عملي من

(*) متى 28: 1-10. مرقس 16: 40-47. لوقا 24: 1-11. يوحنا 20: 1-18.

قبل الكنيسة، فهذا السر "قد يهدم أساس المسيحية في حال تم كشفه" (براون، 2004م، صفحة 268)، وأن أسطورة الكأس المقدسة الموجودة في الديانة المسيحية بكاملها هي حول السلالة الملكية.

1.4 الترويج للكأس المقدسة:

عند النظر في التاريخ وخاصة التاريخ الحديث، نجد أن النظريات التي أرادت أن تثبت أن للمسيح نسلا من زوجته المجدلية قد تعددت، سواء كانت هذه النظريات واقعية، أو حتى خيالية من خلال الروايات الأدبية، وفي نفس الوقت كانت الكنيسة لهذه النظريات بالمرصاد؛ بسبب قيامها على أفكار غنوصية منافية لما جاء في الكتاب المقدس، وقد استعان دان براون ببعض هذه النظريات في روايته، وهي مصنفة حسب الأقدم كالآتي:

1) استدل دان براون بأدلة تاريخية يحاول بها تعضيد ادعائه حول زواج المسيح من مريم المجدلية ونسله منها، ومن أقدم هذه الأدلة التي ذكرها هو "فيلم أمريكي يدعى الإغواء الأخير للمسيح" (براون، 2004م، صفحة 276)، الذي عرض سنة 1988م، وانتقد دان براون حظر الكنيسة لهذا الفيلم، الذي تحدث "عن ممارسة المسيح للجنس مع سيدة تدعى مريم المجدلية"، وسميت هذه الممارسة على لسان إحدى شخصيات روايته بأنها "إباحية! واحتقار لكل ما هو مقدس!".

وبذلك يكون دان براون قد اعتمد لإثبات أسطورة زواج المسيح من المجدلية ونسله منها على رواية (الإغواء الأخير) لنيكوس كازانتزاكيس، التي صدرت عام 1953م والتي أخذ عنها الفيلم فيما بعد، في حين أن الرواية نفسها تفترض أن المسيح جاءته تجربة كلمح البصر وهو على الصليب، يتصور فيها أنه إنسان عادي، نزل من على الصليب، وترك الفداء، وتزوج المجدلية، وأنجب منها أطفالا، وترك إنقاذ العالم وفدائه، واعترف لتلاميذه قائلا: "أنا خائن ... كان يجب أن أصلب، لكنني فقدت شجاعتي وفررت. سامحوني يا إخوتي، لقد خدعتمكم" (كازانتزاكيس، 1995م، صفحة 681). إلا أن مؤلف هذه الرواية وفي نهايتها يقسم ظهر دان براون، ويدمر دليلا من الأدلة التي بنى عليها أسطوره، بقوله: "ارتعش رأسه. وفجأة تذكر أين هو، ومن هو ولماذا يستشعر الألم... لم يكن جباناً، أو أبقاً، أو خائناً. لا، إنه مستمر على الصليب... المتع والزيجات والأولاد كانت أكاذيب ... كل شيء كان وهماً أرسله الشيطان" (كازانتزاكيس، 1995م، الصفحات 683-684).

فبالإضافة إلى أن هذا الدليل الذي اعتمد عليه هو مجرد رواية أدبية، ولا تصلح لسرد الأحداث التاريخية، ولا إثبات العقائد الدينية، فإن مؤلفها اعترف في ختامها أنها مجرد خرافة، وأن المسيح لم يتزوج من المجدلية، ولم يكن له نسل، كما يعد هذا الكتاب أصل الأسطورة؛ لأنه يعتبر أول وثيقة تذكر زواج المسيح ونسله ومنه تلقفها دان براون وغيره.

(2) يذكر براون في روايته أن رواية (الدم المقدس والكأس المقدسة) الصادرة عام 1982 تعتبر من الكتب التي سجلت تاريخ الكأس المقدسة أو السلالة الملكية للمسيح (براون، 2004م، صفحة 283). وفي الواقع من يقرأ كتاب (الدم المقدس والكأس المقدسة) يعلم أن دان براون استمد فكرة روايته (شيفرة دافنشي) منه، في محاولة هجومه على الكنيسة، بل وعلى المسيحية بشكل عام، ومن ثم صاغها صياغة بوليسية تتماشى مع أحداث روايته.

يعترف كُتَّاب (الدم المقدس والكأس المقدسة) في كتابهم نفسه أنهم لم يخفوا "أية رغبة في هدم المسيحية" (بيجنت، 2008م، صفحة 18)، كما يعترفون بأنهم كانوا مخطئين حول التهم التي وجهها لهم أسقف برمنغهام في تزويرهم للحقائق (بيجنت، 2008م، صفحة 20)، ويعترفون أن فرضيتهم قامت على التخمين لندرة المعلومات الموثقة حول التوراة وغموض الإنجيل (بيجنت، 2008م، صفحة 21)، ويقولون أيضاً أنهم لا يستطيعون إثبات نتائجهم، فلو كان بإمكانهم إثباتها -حسب قولهم-؛ فلن يكون هناك أي خلاف (بيجنت، 2008م، صفحة 22)، ولكنهم "كانوا أكثر مصداقية وأمانة من مؤلف (شيفرة دافنشي)، الذي انتحل أفكارهم وأضاف إليها في روايته، ... فقد قال ريتشارد لي أحد المؤلفين الثلاثة في حديث تليفزيوني: أنهم قدموا افتراضات وليس حقائق (ولكنهم لم يؤمنوا قط أنها حقيقية)" (الحكيم، 2009م، صفحة 73).

وعند التحقق من الإيديولوجية التي تخدمها مثل هذه النظريات، وما تأسسه في سبيل ترسيخها من كتب وجماعات، تظهر هذه الكتب لتنتشر الفكر الماسوني شعبياً. فهي كتب تشكك بالمسيحية ككل. وتعظم أدوار الحركات التي ارتبطت بالماسونية كفرسان الهيكل والكاثاريين وغيرهم. وتحاول هذه الكتب إعادة نشر الفكر الظلامي، الذي لم يكتب له النجاح الساحق في عصور قديمة، فتعيد أبناء الغرب المعاصرين إلى تخلف وظلامية تلك العصور" (المدني، 2012م، صفحة 330).

2.4 أسطورة الكأس المقدس حسب التقاليد المسيحية:

إذا ما رجعنا إلى التقاليد المسيحي؛ للبحث عن أصل أسطورة الكأس المقدسة، نجد أن التقاليد اختلفت في شأن هذه الأسطورة، بين مفسر لها على أنها كأس حقيقية، وبين من أوّل هذا التفسير الظاهري إلى تفسير رمزي، لا يخرج به عن العقائد الأساسية، التي تقوم عليها المسيحية، فجاءت هذه التفسيرات كالتالي:

أ- التفسير الظاهري

(3) من فسرهما على معناها الظاهري ادعى بأنها "كأس العشاء الرباني الأخير قبل صلب السيد المسيح" (كورتل، صفحة 165) (بيجنت، 2008م، صفحة 401)، وهي "الكأس الذي استخدمها يوسف الرامي

ليجمع فيها دم المسيح، ثم أُلقي يوسف في السجن، وهناك زاره المسيح وكشف له أسرار هذه الكأس المقدسة، وبعد أن خرج من السجن أخذ أنسابه وأتباعه الآخرين وسافر إلى الغرب، وهناك أسس سلالة حراس الكأس المقدسة" (الحكيم، 2009م، صفحة 72) (بيجنت، 2008م، صفحة 401).

وتذكر روايات أخرى، أن مريم المجدلية هي من جلب الكأس المقدسة إلى فرنسا، حوالي القرن الرابع، إذ "تصرح الأساطير بأن مريم المجدلية هربت من الأرض المقدسة، وأنها نزلت على الياينة قرب مارسيليا، ... وأنها حملت معها ((الكأس المقدسة)) إلى مارسيليا" (بيجنت، 2008م، صفحة 405).

4) وبعض الأساطير المسيحية تتكلم بالمعنى الظاهري أن الكأس المقدسة أُعطيت "إلى آدم adam، إلا أنه تركها في الجنة Paradise عند السقوط Fall. وهي موجودة في مركز الجنة Paradise، ويتحتم العثور عليها ثانية، ومن ثم فإن المخلص Redeemer ... يسترد كأس القربان ويستعيد الفردوس Paradise للبشرية. ويعني البحث Quest عن الكأس المقدسة Grail العودة إلى الجنة Paradise، والمركز الروحي للإنسان والكون" (كوبر، 2014م، صفحة 255).

ب- التفسير الرمزي

وأما من أولها عن معناها الظاهري إلى معنى رمزي فقال: "الكأس المقدسة هي أيضا القلب المقدس للمسيح. ويمثل ضياع الكأس المقدسة فقدان العصر الذهبي والجنة وروحانية الإنسان البدئية ونقائه وبراعته" (كوبر، 2014م، صفحة 255)، فهنا جاءت الكأس بمعنى قلب المسيح، كما جاء فقدانها بمعنى فقدان الملكوت. وقد فسرت أيضا "بأنها نسب، أو -ربما- بعض الأفراد الذين يرتبطون بهذا النسب" (بيجنت، 2008م، صفحة 414)؛ للتأكيد على أن عائلة الكأس المقدسة وحراسها هم فرسان الهيكل.

من خلال الفحص الدقيق لتاريخ الكأس المقدسة، نستطيع أن نقول إنه ليس هناك مرجع مسيحي، أو تاريخي، أو حتى على سبيل التأويل، ينص أن الكأس المقدسة هي دم المسيح المقدس، الذي يجري في عروق سلالته، إلا ما اعتمد عليه دان براون من روايات أدبية، لا ترقى إلى مكانة المصادرة العلمية، التي نستمد منها الحقائق التاريخية.

5. خاتمة:

وفي النهاية نصل في ختام هذه الدراسة، إلى مجموعة من الاستنتاجات التي تزيل الغموض عن التساؤلات المطروحة في بداية هذه الدراسة، والتي تمثلت في النقاط التالية:

(1) ليس من الغرابة أن يكتب المرء رواية أدبية بوليسية، ويضيف فيها على الحقائق التي يعرفها قليلا، أو ينقص منها قليلا، فهي في النهاية تبقى مجرد رواية، لكن من الغريب والمريب في الأمر أن يعكس الحقائق، ويقلبها رأسا على عقب، حتى تصبح أقرب إلى الأسطورة، فقد عمل دان براون في هذه الرواية -بالإضافة إلى تشويه العقائد- على تحسين وتلميع صورة الماسونية عبر التاريخ، وعلى الظلم الذي عانت منه من قبل الملوك ورجال الدين.

(2) بغض النظر عن الصحة التاريخية للادعاءات التي طرحها دان براون، إلا أن تصحيح المسار التاريخي للأحداث ليس هو همّه الذي كان يسعى خلفه في عرضه لهذه الادعاءات، وإنما كان همّه الأوحد هو تشويه الوجه الذي اتخذته الكنيسة تاريخا لها كديانة، وبيان بطلان ما تقوم عليه العقائد المسيحية، منتصرا بذلك لخلفيته الماسونية، لذلك كان لا بد لنا من توضيح التاريخ الصحيح الذي تتبناه المسيحية كدين؛ للوقوف على الأثر الناتج عن تحريف هذا التاريخ.

(3) كان باستطاعة دان براون أن ينقض أركان المسيحية من خلال كتابة رواية نقدية مباشرة موجهة للمسيحية، إلا أنه أراد أن ينقدها نقدا غير مباشر؛ حتى يوصل الرسالة للفرد المسيحي من خلال رواية أدبية، وبطريقة غير هجومية تشككه في عقائده الدينية الأساسية؛ فيكون أكثر تقبلا لها.

(4) الأفكار التي طرحها دان براون في رواياته من خلال تشويهه للمسيحية وغيرها من الأديان، لم يقدم البديل في بعضها، وفي البعض الآخر كان البديل هو العلم، وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على أنها رسائل واضحة في ترويجه للإلحاد الذي تسعى الماسونية الحديثة لنشره.

(5) إن الاختلاف بشأن مريم المجدلية لا يحيل على تناقض في سيرتها، بقدر ما يحيل على الصراع الذي ميز تاريخ الجماعات المسيحية في القرن الثاني والثالث الميلاديين، وهي الفترة التي كتب فيها إنجيل مريم المجدلية وعدد من نصوص الأبوكريفا؛ وهي أيضا الفترة التي عمدت فيها الكنيسة إلى وضع قانون للكتابات المعترف بها. فكانت من ثمت مريم المجدلية، بمثابة الشخصية التي يتجلى فيها الصراع بين الجماعتين، بشكل جعل المتخيل الذي تبنته كل فئة يعبر عن رهاناته الخاصة أكثر مما يعبر عن حقيقة مريم المجدلية.

وفي النهاية، لا يسعنا في ختام هذا الموضوع إلا أن ننبه على أن هذه الدراسة لهذه الرواية ما هي إلا نموذج من العديد من الأعمال الأدبية التي تحتاج إلى بحث وتمحيص؛ وذلك لمعرفة الإشكالات العقدية التي تطرحها وتروج لها الماسونية من خلالها، كما أن الروايات الأدبية هي وسيلة واحدة من بين عشرات الوسائل التي تستعين فيها الماسونية لنشر أفكارها.

6. قائمة المراجع:

1. إبراهيم سالم الطرزي. (2005م). أبوكريفا العهد الجديد لجميع لكتابات الأبوكريفا المسيحية، الكتاب الثاني أناجيل الخدمة والحكمة الغنوسية (الإصدار ط1)، مكتبة نجع حمادي.
2. آرثر كورنث. (بلا تاريخ). قاموس أساطير العالم. دمشق، سوريا: دار نينوى.
3. الأب متى المسكين. (1996م). الإنجيل بحسب القديس مرقس دراسة وتفسير وشرح (الإصدار ط1). القاهرة: مطبعة دير القديس أنبا مقار.
4. الأب متى المسكين. (1998م). الإنجيل بحسب القديس لوقا دراسة وتفسير وشرح (الإصدار ط1). القاهرة، مصر: مطبعة دير القديس أنبا مقار.
5. الأنبا مكاريوس. (2017م). دراما الصليب (الإصدار ط1، المجلد ج3). إيبارشية المنيا وأبوقرقاص للأقباط الأرثوذكس.
6. جوش ماكديول. (بلا تاريخ). شيفرة دافنشي بحث عن الإجابات. لبنان: دار حياة المحبة.
7. جي سي كوبر. (2014م). الموسوعة المصورة للرموز التقليدية (الإصدار ط1). (مصطفى محمود، المترجمون) القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.
8. دان براون. (2004م). شيفرة دافنشي (الإصدار ط1). بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم.
9. عبد المجيد همو. (2004م). الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات (الإصدار ط2). دمشق، سوريا: دار الأوتل.
10. عبد الوهاب المسيري. (1995م). موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية نموذج تفسيري جديد (الإصدار ط1، المجلد 5). القاهرة، مصر: دار الشرق.
11. عزت زكي. (2008م). مخطوطات نجع حمادي الأثرية. (القس عبد المسيح إسطفانوس، المحرر) القاهرة، مصر: دار ومكتبة الحرية.

12. مانع بن حماد الجهني. (1420هـ). الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (الإصدار ط4). الرياض، المملكة العربية السعودية: دار الندوة العالمية.
13. محمد نمر المدني. (2012م). الانفجار الماسوني. دمشق، سوريا: دار مؤسسة رسلان.
14. منصور عبد الحكيم. (2009م). دولة فرسان مالطا وغزو العراق (الإصدار ط1). دمشق، سوريا: دار الكتاب العربي.
15. ميشيل بيجنت. (2008م). الدم المقدس والكأس المقدسة (الإصدار ط2). (محمد الواكد، المترجمون) دمشق، سوريا: دار الأوائل.
16. نيكوس كازانتازكيس. (1995م). الإغواء الأخير للمسيح (الإصدار ط2). (أسامة منزلجي، المترجمون) دمشق، سوريا: دار المدى.
17. هيربرت لوكير. (بلا تاريخ). كل نساء الكتاب المقدس. دار الثقافة.
18. وليم إدي. (1973م). الكنز الجليل في تفسير الإنجيل (المجلد ج2). بيروت، لبنان: مجمع الكنائس في الشرق الأوسط.
19. ياسين اليحياوي. (بلا تاريخ). مريم المجدالية في النصوص المسيحية المبكرة رهانات الجماعات المسيحية في صراع الأرثوذكسية والهرطقة.